أو من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقال له إنه يولد في بلدك
هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في
كتب الأنبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما
ضوء فوقع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك
في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه فقالوا فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته
في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة نساء رجلا فإذا حاضت المرأة خلا بينها وبين
زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت حال بينهما ترجيا أن توجد بها فقد طهرت من الحيض
فوافقها إبراهيم وقال محمد بن إسحاق بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده إلا
ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل بطنها وقال
السدي خرج نمرود بالرجال إلى العسكر وخاصر النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون بتلك الليلة
ما شاء الله فلم يبق له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا أن يبعث إليه ودعا به
وقال له إن لي حاجة أحب أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لثقتي بك فإن قسمت عليك أن لا تفعل ما أمرتك به
فقال أي أيها الملك علي في نفسي فذلك فما حاجتك فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على أهلي
فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت بإبراهيم قال ابن عباس ما حملت أم إبراهيم
قال الكهان لنمرود إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت
ولادة أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة فخافت أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر
يابس ثم لفته بخرقة ووضعته في خلف فرجة فأخرجت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع
كذا وكذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وهو كما عند نهر فتوارى فيه وسد عليه بابه بصخرة
مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه قال محمد بن إسحاق لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت
ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة
ورجعت إلى بيتها كانت تختلف إليه لتنظر ما فعل فيجده حيا يمص إبهامه قال أبو روق قالت أم إبراهيم
ذات يوم لا تخرجي إلى صاحبه فوجدته يمص من أصبع يمينه ومن أصبع يساره عسلا ومن أصبع ثالثة سمنا وفي
أصبع سمنا وقال محمد بن إسحاق كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فماتت
وسكتت عنه وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة
إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض
وقال الله الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني إن لي ربا ما لي إله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا
قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر بازغا فقال
هذا ربي واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس فكذا إلى آخره ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت
وجهته وعرف ربه وترك من دين قومه الإلهية لم يزل يدهر بآزر فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم
أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل إنه كان يومئذ
سبع سنين وقيل إنه عشر سنين وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب

من ربي

من ربي قالت أمه فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت اسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت
أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك هذا فأخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال
له إبراهيم يا أبتاه من ربي فقال أمك قالت فمن رب أمي قالت أنا قال فمن ربك قالت نمرود قال فمن رب نمرود
فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا
ربي وقال إنه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الزهرة
والقمر فسأل أباه فقال ما هذه فقال هذا ربي وجعل يتم فقال ما لهذه بد أن يكون لها رب وخالق فنظر
فإذا المشتري قد طلع وقال أبو زهرة فكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها فرأى الكوكب
قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يقال جن الليل وأجن الليل وجنه الليل
وأجنه وجن عليه الليل جنونا وجنانا إذا أظلم وغطا كل شيء وجنون الليل سواده رأى كوكبا قرأ
أبو عمرو رأى بفتح الراء وكسر الألف ويكسرها ابن عامر وحمزة والكسائي وإذا وقفوا قالوا كما أنها
فتحها ابن عامر فإن لقيها ساكن كسروا لالتقاء الهمزتين حمزة وأبو بكر وفتحها الآخرون قال هذا ربي واختلفوا
في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان إبراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله
وآتاه رشده فلم يصح ذلك في حال الاستدلال وأنكر كان ذلك في حال طفولته قبل قيام الحجة عليه
فلم يكن كفرا وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يكون لله رسول في حال طفولته وقت من الأوقات
إلا وهو موحد وبه عارف من كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه
رشده من قبل وأخبر عنه فقال إذ جاء ربه بقلب سليم وقد قال وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض
أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي في معتقده أو هذا لا يكون إلا أحد قولين
أربعة أوجه من الاستدلال أحدهما أن إبراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم
في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون أن الأمور كلها إليها فأراهم أنه معظم
ما عظموا وما التمس الهدى من حيث التمسوا فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما
يدعون ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى
صدروا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دعاهم عدوهم وأرادوه في أمره فقال لهم إن تدعوا
هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا فاجتمعوا حوله ينتظرون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم
إلى أن يدعوا معه فصرفهم عنه بما لا يحتسبون فاستسلموا والوجه الثاني من التأويل أنه قاله على الاستفهام
وجه الاستفهام تقديره أهذا ربي كقوله تعالى أفبهم الخالدون أي فهم الخالدون وذكر على
وجه التوبيخ منكرا للتعليم يعني ومثل هذا يكون ربا أي ليس هذا ربي والوجه الثالث أنه ذكره على وجه
الاحتجاج عليهم ليقود هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها لما غاب كما قال ذوقوا إنك أنت العزيز الكريم
أي عند نفسك وزعمك وكما أخبر عن موسى أنه قال وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه
في اليم ثم حمل والوجه الرابع أنه أضمر بعده يقولون هذا ربي كقوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا فلما أفل قال لا أحب الآفلين وما لا يدوم
فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
لم يكن مهتديا والأنبياء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الإيمان وكان إبراهيم يقول واجنبني وبني أن

طفوليته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)